

ونجد الفكرة تتطور عند أبي سعيد السيرافي وتأخذ صورة أكثر جلاء حينما تحدث عن معاني النحو وقال : « معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكنااته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ في ذلك وان زاغ شيء عن النعت فانه لا يخلو ان يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم البخارية على فطرتهم » (١) .

وكان لمسألة إعجاز القرآن أثر في بلورة فكرة النظم ، وقد ذهب قوم من المتكلمين إلى ان وجه الاعجاز هو ما اشتمل عليه القرآن من النظم الغريب المخالف لنظم العرب ونثرهم في مطالعه ومقاطعته وفواصله. وذهبت جماعة منهم إلى أن وجه الاعجاز في مجموع الأمرين : النظم ، وكونه في أعلى درجات البلاغة . ولاي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (- ٣٠٦هـ) كتاب في إعجاز القرآن سماه « إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه » ولا نعرف عنه شيئاً مع ان عبد القاهر شرحه مرتين لأن الاصل وشرحيه لم تصل وان كان العنوان يظهر انه عالج مسألة النظم وأقام عليها إعجاز القرآن .

وفي كتب الاعجاز التي وصلت الينا حديث عن النظم ولكنه لا يجلي الصورة ولا يوضح الهدف وانما هي ومضات في الطريق سار عليها البلاغيون فأبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي (- ٣٨٨هـ) يرى أن القرآن انما صار معجزاً لانه جاء بأفصح الالفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني . ويقول إن « عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الالفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الاخص الأشكل به الذي اذا ابدل مكانه غيره جاء منه اما تبديل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام واما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة » (٢) . ويرى أبو الحسن علي بن

(١) الامتاع والمؤانسة ج ١ ص ١٠٧ ، ومعجم الادبيات ج ٣ ص ١٠٥ .

(٢) بيان اصجاز القرآن - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٢٦ .